الفصـــل الثالث

إرهـــاب الدولـــة

« خلال الثلاثينات كنا نكبت المشاعر الثأرية ، وكنا نربي الجمهور على أن يرى في الثأر دافعاً ذا سلبية مطلقة ، والآن يجري العكس ، أننا نبرر نظام العمليات الثأرية من منطلقات براجماتية ، ولقد حطمنا الحواجز والضوابط المعنوية والعقلية التي كانت تضغط على هذه الغريزة ، فأصبح من الممكن اعتبار الثأر قيمة معنوية ، وهذا المفهوم يتبناه قسم كبير من الرأي العام ، وخاصة أوساط الشباب ، غير أنه تبلور إلى أن بلغ مقام المبدأ المقدس في كتيبة شارون التي أصبحت أداة الدولة للثأر » ..

* * *

موسى شاريت
من مذكراته

الفصـــل الثالث

إرهـــاب الدولـــة

بعد قيام دولة « إسرائيل » ، وبعد أن انتهت من حروبها مع العرب ، وبعد أن عقدت مع الدولة العربية اتفاقيات هدنة ، لم تتمكن من تغيير جلدها من عصابات إرهابية ، إلى دولة يقودها متحضرون ، بل أنشأت عدة مؤسسات عسكرية ، مهمتها ممارسة إرهاب الدولة ، قال بن جوريون ان حدود إسرائيل سوف يحددها الجندي الإسرائيلي ..

وكان أول ما فعله بن جوريون – زعيم الإرهابيين-إقامة مهمته«إرهاب الدول العربية ، « جيران » الدولة الجديدة ، وكان هذا اللواء :

- **اللـــواء ١٠١ :**

يبدو أن بن جوريون ، مؤسس الدولة الإسرائيلية ، كان يعلم أنه يقود عصابات ، أقام بها دولة ، وكان لابد أن ينظم عمل هذه العصابات ، أو على الأقل « ضم قيادات هذه العصابات في مؤسسة إرهابية واحدة تسيطر عليها الدولة وتعمل ضمن تخطيطها » ، تلك هي الفكرة المتصورة لإقامة اللواء ١٠١ الإسرائيلي .. والذي قام بعشرات العمليات الإرهابية ضد القرى العربية بعد قيام إسرائيل .. ولقد قاد هذا اللواء الإرهابي الصهيوني أريل شارون ، وضم من القيادات الإرهابية شلوموبوم ، ومائير هارتسون وبنيامين جفلي .. وكان هذا اللواء الذي يقوده الإرهابي أريل شارون ، يأخذ أوامره من بن جوريون شخصياً ، ولهذا .. فلقد قام بمجازر لا تعد ولا تحصى ضد القرى العربية ، ورغم ما أعلن أنه تم حل هذا اللواء بعد مجزرة قرية قبية ، إلا أن الحقيقة يبدو أنها غير ذلك ، لأنه بعد هذه المجزرة ، قامت القوات الإسرائيلية بعمليات مماثلة ضد قرى الحدود العربية بلغت عدة آلاف ..

والسؤال .. لماذا تشكيل لواء إرهابي ؟

ثم .. لماذا الاعتداء الدائم على قرى الحدود ؟

لقد تم تشكيل هذا اللواء من العناصر المتعطشة دائماً للدماء ، والتي لا ترويها دماء كل الأمة العربية ، حتى تكون أعمالها خالية تماماً من الإنسانية والشفقة ، ثم إن الاعتداء الإسرائيلي الدائم على قرى الحدود العربية ، يضعفها .. حتى إذا أرادت إسرائيل تنفيذ خططها التوسعية ، لا تجد مقاومة تذكر ، فلقد كان هدف هذه الوحدة هو الحيلولة دون تشكيل قوات مقاومة داخل القرى الحدودية .. بالإضافة إلى أن ضعف الحدود دائماً ، يضعف بالتالي محاولة اتخاذ هذه القرى نقطة انطلاق داخل الأرض المحتلة ..

وهذه أشهر العمليات التي قام بها أريل شارون أثناء قيادته للواء ١٠١ .

اختار بن جوريون قرية قبية ، لتكون أول تجربة لتلك القوة التي شكلها من الإرهابيين تحت اسم اللواء ١٠١ ، واختار ليلة ١٤ نوفمبر عام ١٩٥٣ موعداً لتنفيذ تلك المجزرة ، وذهبت القوة بقيادة الإرهابي أريل شارون ، واقتحمت القرية بعد منتصف الليل ، وقامت بنسف ٤١ بيتاً ومدرسة ، وأخذت ٤٢ رجلاً وامرأة وطفلاً وقتلتهم أمام سكان القرية بصورة لا إنسانية ، أبشع مما تتصورون .. وعادت بعد أن وصل عدد الضحايا ٦٩ قتيلاً فلسطينياً ..

* * *

أحدثت المجزرة الجديدة دوياً هائلاً وقد كتب موسى شاريت في مذكراته في تلك الليلة[1]:

– قلت للافون ان هذا الهجوم سيكون خطأ فادحاً وذكرته .. مستنداً إلى سوابق عديدة ، بأنه لم يثبت أبداً أن العمليات العقابية تخدم هدفها المعلن .. ابتسم لافون .: ولم يعدل رأيه .. وقال ان بن جوريون لا يشاطرني الرأي ..

وكتب بعد يومين : « يجب أن أؤكد أنه عندما عارضت العملية لم يكن لدي أية فكرة أني كنت أعارض حمام دم كهذا .. ظننت أني أعارض عملية من بين تلك التي أصبحت في الماضي روتينية .. والآن يريد الجيش أن يعلم كيف سنبرر المسألة .. في اجتماع مشترك ضم المسئولين في وزارة الخارجية والجيش ، اقترح شمويل بندور أن نقول ان الجيش لم يشارك أبداً في العملية بل ان سكان القرى الحدودية أغضبتهم الأحداث السابقة ، فأرادوا أن يثأروا لها وتصرفوا من وحيهم الخاص ، مثل هذه الرواية ستجعلنا محطاً للسخرية ، أي طفل يستطيع أن يلاحظ أن هذه عملية عسكرية » ..

---

(١) إيلان هاليفي : إسرائيل من الإرهاب إلى مجازر الدولة ..

في اليوم التالي اضطر شاريت لمواجهة المزاج السيىء للممثلين الدبلوماسيين الأمريكيين ، وألقى بخطاب لم يكن يؤمن به ، وكتب في ذلك اليوم أن الملحق العسكري الإسرائيلي كاتربيل شالمون تقدم بفكرة عملية للتمويه ، ستظل مسألة قبية مركزاً للانتباه طالما بقينا غير قادرين على اختلاق منعطف مأساوي آخر .. وكتب بتاريخ ١٨ تشرين الأول / أكتوبر ، مدوناً ماقيل في اجتماع مجلس الوزراء : استنكرت عملية قبية التي أظهرتنا أمام العالم كله كزمرة من مصاصي الدماء ، مستعدة للقيام بمجازر واسعة النطاق دون أن تهتم ، على مايبدو ، بأن تعرف إن كانت أفعالها ستؤدي إلى الحرب (...) تقرر نشر بيان عن قبية وكلف بن غوريون بكتابته .. أصريت على إضافة جملة آسفة ، وأصر بن غوريون على استبعاد أية مسئولية للجيش ، غضب المدنيون القاطنون في المناطق الحدودية لتكرار الجرائم ضدهم ، فقرروا تطبيق القانون بأنفسهم ..

على كل حال فإن المستعمرات الحدودية مدججة بالأسلحة .. .. والمستوطنون كانوا جنوداً في الماضي .. قلت ان أحداً لن يصدق مثل هذه الرواية وأننا بهذه الطريقة نقيم الدليل على أنفسنا بأننا كاذبون .. إلا أنه يواصل « لكنني لم أتمكن من المطالبة الجدية بأن يؤكد البيان بوضوح مسئولية الجيش ، لأن ذلك كان سيجعل من المستحيل استنكار العملية ، وكنا سنجد أنفسنا موافقين على حمام الدم المريب هذا » ..

وشددت ليفيا روكاش على معنى هذا الاستفزاز الذي لم تكن المجزرة إلا وسيلة لتحقيقه ، كتبت : « لا يمكن لأي شيء أن يعرض أمن السكان الإسرائيليين في المناطق الحدودية للخطر مثلما عرضه إلقاء المسئولية عليهم بالتسبب بحمام الدم الذي وقع في قبية » ..

• الإرهاب للقضاء على السلام :

في إسرائيل ، كان يحلم بن جوريون باحتلال سيناء ، وقبل قيام الجيش المصري بعملية تسليح كبيرة بعد قيام ثورة يوليو ، وفي يناير عام ١٩٥٤ ، اقترح ديان القيام باختراق الحصار المصري حول مضايق تيران ، وذلك عن طريق تمرير باخرة تحمل العلم الإسرائيلي في الخليج ، فإن قصفها المصريون ، يقوم الطيران بقصف القاعدة المصرية وتقوم القوات البرية بالاستيلاء على رأس النقب ..

وفي الوقت الذي كانت إسرائيل تفكر فيه في الحرب ، كانت القيادة المصرية تفكر في إقامة صلح مع إسرائيل وتبدأ بمفاوضات سرية ومباشرة بين الحكومة المصرية والحكومة

الإسرائيلية ، ولكن إسرائيل أسرعت بإجهاض هذه المحاولة ، لأنها لم تكن ترغب في السلام ..

يقول إيلان هاليفي في كتابه : « إسرائيل من الإرهاب إلى مجازر الدولة : أن المفاتحات التفاوضية التي أبداها ناصر أمام محدثيه الأميركان في شهر يناير ١٩٥٥ ، والاقتراحات الجديدة للقيام باتصالات مباشرة وسرية بين المصريين والإسرائيليين دفعت أنصار الحرب إلى الإسراع بتحركاتهم وإلى تشديد الضغط على شاريت الذي بدأت تحفظاته تزعجهم وكذلك جموده ..

وبتاريخ ١٧ شباط / فبراير ١٩٥٥ ، طلب شاريت من بن جوريون أن يعود إلى الحكومة .. كوزير للدفاع .. بعد عشرة أيام اقترح بن جوريون ، وأجاز شاريت القيام بعملية ضد قاعدة عسكرية مصرية في قطاع غزة .. وكتب شاريت : « شدد بن جوريون على أن المطلوب ليس قتل بل تدمير المنشآت . فإن هرب المصريون خلال الغارة ، قد لا تحصل إراقة للدماء » ، بعد أربعة أيام من وقوع الهجوم كتب شاريت : « أنا مصدوم . فإن عدد الضحايا (٣٩ قتيلاً و ٣٠ جريحاً بينهم طفل سنه ٧ سنين) لم يغير أبعاد العملية فحسب بل أيضاً مضمونها (...) لقد قدم الناطق العسكري معلومات خاطئة للصحافة وذلك وفقاً للأوامر التي تلقاها من وزارة الدفاع : لقد زعم أن إحدى وحداتنا هوجمت داخل أراضينا وأنها ردت على الهجوم مما أدى إلى معركة تطورت بعد ذلك إلى ما تطورت إليه ، من يصدقنا ؟ » .

ويكتب شاريت بتاريخ ١٢ مارس ١٩٥٥ أن الممثل المصري في اللجنة المشتركة للهدنة ، صلاح جوهر قد أبلغ الممثل الإسرائيلي جوزيف تكواع بما قاله له ناصر عن أنه أجرى في وقت سابق اتصالاً شخصياً مع رئيس الوزراء الإسرائيلي وأنه رأى فرصة للتوصل إلى اتفاق ، إلا أنه الآن ، بعد الغارة التي حصلت على غزة لم يعد أي شيء ممكن .. وكذلك بدأت الحركة التي كان من شأنها أن تؤدي إلى العدوان على مصر في عام ١٩٥٦ ..

فبتاريخ ٢٦ آيار / مايو ١٩٥٥ ، نقل شاريت في يومياته أقوال موشيه دايان البربرية عن رفض الاقتراحات الأمريكية وهي الأقوال التي أدلى بها أمام السفراء الإسرائيليين في واشنطن ولندن وباريس : « إن المعاهدة الدفاعية لا يمكن إلا أن تكبلنا وتحرمنا من حرية التحرك .. والعمليات العقابية التي ستقضي المعاهدة .. الدفاعية بأن نتخلى عنها هي رئتنا الحيوية » .. ويمضي شاريت ساخراً : « خلاصة خطاب دايان واضحة : هذه الدولة لا

تتعرض لخطر دولي وليس لديها مشاكل اقتصادية .. قضية السلام غير موجودة (...) يجب على الدولة اعتبار السلاح الأداة الأساسية بل والوحيدة للحفاظ على الاستنفار المعنوي ، نستطيع – بل لا يجب عليها – أن تختلق الأخطار ، ولذلك تتبنى منهج الاستفزاز – الثأر .. وبالأخص ، نتمنى أن تحصل حرب جديدة مع العرب لتنقذنا نهائياً من مشاكلنا وتمنحنا فرصة اكتساب أرضنا .

ويضيف شاريت : « يا لزلة اللسان هذه : لقد قال بن جوريون بنفسه ان الأمر يستحق أن ندفع مليون ليرة لشخص عربي ثمناً مقابل أن يعلن الحرب علينا » ..

• **العدل في احتساء الدم :**

يعتبر شهر نوفمبر عام ١٩٥٦ هو عام « العدل في احتساء الإسرائيليين للدم العربي » ، ففي خلال هذا الشهر احتسى جنود إسرائيل دماء الفلسطينيين في قلقيلية وكفر قاسم ، ودماء الفلسطينيين والمصريين في غزة وسيناء ..

ففي ليلة العاشر من أكتوبر قامت القوات الإسرائيلية بأكبر عملية ثأرية ضد القرية العربية « قلقيلية » ، يقول مجرم الحرب موشي دايان في مذكراته عن هذه العملية :

« أن العملية الإنتقامية التي قام بها الجيش الإسرائيلي في قلقيلية ، كانت من أكبر العمليات الإنتقامية وقد بلغت خلالها خسائر الجيش الإسرائيلي ١٨ قتيلاً وخمسين جريحاً » .. وقال دايان في مذكراته : « ان قلقيلية كانت محصنة جيداً .. وأنها كانت تسيطر على المنطقة ، وعلى الطريق المؤدي إلى عزون ، وقلب السامرة ومدينة نابلس » وأضاف دايان : « أن القوات الإسرائيلية قد حشدت استعداداً للعملية في منطقة كفار سابا وياد الياهو وايال ، وفي الليل تحركت القوات الإسرائيلية لتنفيذ مهمتها وتوجهت القوة (أ) والقوة (ب) إلى مبنى مركز الشرطة في المدينة ، أما قوة الحماية فقد تقدمت خلف قلقيلية لإقامة حاجز على الطريق بالقرب من قرية عزون ، حيث يوجد معسكر للجيش الأردني » ..

• **مجـــزرة الســـموع :**

ليلة ١٣ نوفمبر عام ١٩٦٦ ، اصطدمت دورية إسرائيلية في وادي عربة بلغم أرضي ، أسفر عن مقتل ثلاثة من لواء المظلات الإسرائيلي ، وسرعان ما أرسلت المؤسسة العسكرية اللواء المظلي – امتداد اللواء ١٠١ إلى القرية واحتلالها ، .. وإقامة مجزرة فيها ، وقال مئان فيلني ، أحد الذين اشتركوا في المجزرة :

– « في اللحظة التي سمعت بها بانفجار اللغم في وادي عربة أُدركت بأن القوات الإسرائيلية ستقوم بعملية إنتقامية .. وكان هدف العملية في هذه المرة قرية السموع الأردنية التي تبعد حوالي خمسة كيلومترات من تل عراد ، وكان الفدائيون يحصلون في هذه القرى كما هو الحال في قرى أردنية أخرى في منطقة جبال الخليل على الدعم والحماية ..

لقد تم إعداد القوة بسرعة وفي مساء يوم السبت توجه المظليون إلى قاعدة الإنطلاق بالقرب من بئر السبع وكان معظمهم قد عادوا بمحض إرادتهم من أجازة يوم السبت ، وكان لديهم شعور بقرب وقوع العملية » ..

* * *

ووصف أحمد الشقيري رئيس منظمة التحرير الفلسطينية المجزرة الإسرائيلية في قرية السموع أمام مجلس الدفاع العربي المشترك ، الذي عقد بالقاهرة عقب هذه المجزرة ، قال الشقيري[1] :

– « وأفاق الأردن صبيحة ١٣ نوفمبر ، وإذا بالقوات الإسرائيلية قوات ضخمة من الدبابات والمدفعية ومن أسراب الجو ، وقوات المشاة المسنودة والمدعمة بكل الأسلحة .. في الساعة السادسة والنصف انتقلت من المنطقة المحتلة ، واخترقت خطوط الهدنة ، واتجهت نحو المنطقة جنوب الخليل ، وهي المعروفة بالسموع ، وسائر القرى المحيطة بها ، ثم تبدأ بالقصف الجوي والتدمير بالمدفعية ومن الدبابات ، وتزحف القوات الآلية والمشاة صوب قرية السموع وما جاورها من القرى فيهرب الاهلون من منازلهم ، لا خوفاً ولا فزعاً ولا جبناً ، ولكن لأنهم لا يملكون السلاح للدفاع عن أرواحهم ومنازلهم وقراهم ، فهربوا إلى الكهوف وإلى المغاور ، حتى خلت القرية وما حولها من سكانها ، وخلت المنطقة من الآمنين من السكان ، إلا نفر من الشجعان من ضباط وجنود الجيش الأردني الباسل الذين ظلوا يقاتلون بالأسلحة الخفيفة التي بين أيديهم ، دون أن تستطيع أن تقف أمام القوات الآلية الضخمة التي قامت إسرائيل بحشدها في تلك المنطقة ، وتظل المراكز الأمامية باللاسلكي وبكل الوسائل التي تملكها ، تنذر ماوراءها في عمان ، بهذه الغارة الآثمة المجرمة وتصرخ طالبة النجدة ، وتدخل القوات الإسرائيلية إلى المنازل ومعها الديناميت في الصناديق التي تفتح بالدم البارد ، وفي الوقت الهادىء كأنما يدخلون أرضاً ليس فيها أحد .. ويضربون المنازل بيتاً بيتاً .. يضعون صناديق المتفجرات فيها ، منزلاً منزلاً ..

ولذلك أنا أحب هنا .. أن أضع أمامكم الملاحظة بأن المنازل التي دمرت لم تدمر من الجو ولا بالمدفعية ، وبعض هذه الأماكن دمرت من الجو وقصفاً بالمدفعية ومن جملتها المئذنة التي أصيبت إصابة مباشرة في أعلى المنارة .. ولكن معظم التدمير كان بالنسف بالديناميت .. تدخل وحدات التدمير إلى كل منزل ، شعوراً منها بالإطمئنان التام ، بأنها تستطيع أن تفعل ما تفعل ، ضمن خطتها المرسومة ، غير عابئة بأي قوة تقف أمامها أو تصدها .. واستمرت هذه الغارة ثلاث ساعات استبسل فيها الجيش الأردني في المراكز الأمامية الباسلة ، وسقط بعضهم شهداء ، والبعض جرحى لا يملكون من وسائل النجدة أو الدفاع شيئاً ..

وقبيل أن تنتهي الغارة ببضع دقائق ، وصلت نجدات من جيشنا الأردني الباسل ، ..

أقول جاءت النجدات قبيل انتهاء الغارة بدقائق بسيارات أشبه بأن تكون عادية .. لم تكن هناك المصفحات ولا الدبابات ولا المدرعات وإنما سيارات خفيفة ، ومن غير أن أدخل في التفاصيل التي هي مفجعة لنا جميعاً موجعة لقلوبنا .. هؤلاء الضباط والجنود معظمهم سقطوا شهداء احتراقاً ، أحرقتهم القنابل المحرقة الإسرائيلية التي وجهت إلى سياراتهم غير المصفحة ، غير المدرعة ، غير المسلحة وبهذا انضم إلى قافلة شهداء الأمة العربية واخواننا شهداء الأردن العربية ، .. وشهدائنا في الأردن بلدنا ، هؤلاء الأعزة من إخواننا الذين لقوا حتفهم ، وقد احترقوا احتراقاً ما قتلوا بالنار ولا بالمتفجرات ، ولكنهم في سياراتهم احترقوا .. وبعض الزوار من الوفود التي ذهبت إلى المنطقة بعد الحادث ، وجدوهم وهم في احتراق كامل من الرأس إلى القدم ..

وانتهت الغارة ، وعاد المغيرون وهم ينشدون ويرقصون ، وما هذا بتعبير شعري ، وما هي بمجازات وكنايات أقولها لكم .. هذه وقائع ثابتة .. عاد المغيرون الإسرائيليون وهم ينشدون ويرقصون ، وقد أخذوا معهم بعض جرحانا وأخذوا كذلك بعض الأسلحة وبعض السيارات وجروها إلى المنطقة المحتلة ..

* * *

وأخيراً ..

كانت حصيلة المجزرة نسف ١٢٥ منزلاً ، ومصرع ١٨ شخصاً ، وإصابة ١٣٠ آخرين جميعهم من المدنيين ، وقد أدان مجلس الأمن هذه المجزرة بالقرار رقم ٢٨٨ الصادر في ٢٥ ديسمبر عام ١٩٦٦ ..

ولكن .. ما أكثر القرارات التي تدين إسرائيل ..

* * *

والآن .. هل هذه كل المجازر الإسرائيلية ، والتي قام بها أريل شارون وقدامى الإرهابيين والذين أصبحوا قادة « لجيش إسرائيل » .. مسلسل الإرهاب على القرى لا ينتهي .. وهذه لقطات سريعة من هذا المسلسل[1].

● في ٢٨ – ٢٩ / ٣ / ١٩٥٤ هاجمت قوة إسرائيلية قرية نحالين فقتلت تسعة أشخاص ، وجرحت تسعة عشر آخرين ..

● في ٣٠ / ٨ / ١٩٥٤ هاجمت القوات الإسرائيلية بقيادة مردخاي غور قرية خربة السكة وأطلقت النار على سكانها ، وعلى أفراد الجيش الأردني في تلك المنطقة ..

● في ١ / ٩ / ١٩٥٤ ، قامت القوات الإسرائيلية بالهجوم على قرية بيت لقيا ونصبت كميناً للقوات الأردنية ، وأوقعت بها عدداً من الإصابات ..

● في ٣٠ / ٨ / ١٩٥٥ ، هاجمت القوات الإسرائيلية قيادة اللواء المصري ، وسرية الحماية المرابطة في شرطة خانيونس ، ودمرت محطة بنزين ومحطة للباصات ..

● في ١١ / ١٢ / ١٩٥٥ ، هاجمت قوات من لواء جعباتي والناحال مواقع القوات السورية ، على الضفة الشرقية من بحيرة طبريا ، فقتلت ١٢ مدنياً بينهم ثلاث نساء وهدمت عدداً من البيوت السكنية ..

● في ١١ – ١٢ / ٩ / ١٩٥٦ ، نسفت قوة إسرائيلية مركز شرطة ومدرسة في الرهوة ، وقتلت ١٥ شخصاً ، ونسفت مدرسة جديدة كانت الأونروا قد أتمت بناءها حديثاً ..

● بتاريخ ١٣ / ٩ / ١٩٥٦ ، دمرت قوة إسرائيلية مركز شرطة ومدرسة في غرندل ، فقتلت تسعة من رجال الشرطة ، وعدداً من السكان المدنيين ..

● بتاريخ ٢٥ / ٩ / ١٩٥٦ ، نسفت قوة إسرائيلية مركز شرطة قرب قرية حوسان ، فقتلت ٢٩ شخصاً ودمرت مدرسة قرب قرية وادي فوكين في الضفة الغربية ..

● في ٥ / ٤ / ١٩٥٦ ، قصف الإسرائيليون مدينة غزة بمدافع الهاون فقتلت ٥٦ مدنياً ، وجرحت ١٠٣ آخرين ..

---

(١) مجازر وممارسات – غازي السعدي – دار الجليل – عمان .

● ليلة ١٠ ــ ١١ / ١٠ /١٩٥٦ ، تعرضت مدينة قلقيلية بالضفة الغربية لهجوم إسرائيلي ثالث ، كما هوجمت في نفس الليلة قرى عزون والنبي الياس وخان صوفين في منطقة قلقيلية ، وأسفر الهجوم عن نسف عدة منازل واستشهاد ٤٨ شخصاً ، وجرح ٢١ آخرين ..

● في ٤ / ٢ / ١٩٥٩ ، عبرت دورية إسرائيلية الحدود المصرية جنوب رفح ، فقتلت امرأة وطفلاً وجرحت امرأة أخرى ..

● في ١٧ / ٢ / ١٩٥٩ ، كمنت دورية إسرائيلية لأربعة أشخاص داخل الأراضي المصرية ، فقتلت شخصين وجرحت ثالثاً ..

● في ١٦ / ٣ / ١٩٦٢ ، هاجمت المدافع والطائرات الإسرائيلية قرية النقب السورية ، وقتلت ٣٠ شخصاً ..

● في ٢٧ / ٥ / ١٩٦٥ ، هاجمت قوات إسرائيل بيوتاً ومعملاً ومحطة بنزين في جنين وقلقيلية والمنشية ، فقتلت أربعة أشخاص وجرحت سبعة آخرين ..

● بتاريخ ٣٠ / ٤ / ١٩٦٦ ، نسفت قوة إسرائيلية ١٩ بيتاً في رافات ، وأربعة بيوت في منطقة الشيخ حسين ، في الأردن فقتلت ثمانية مدنيين ..

● في ١٤ / ٧ / ١٩٦٦ ، قصفت الطائرات الإسرائيلية قرية سورية ، فقتلت امرأة وجرحت تسعة مدنيين ..

ولكن كان أعظم مهرجان للإرهاب ، وأعني به إرهاب الدولة ، هو مهرجان الدم في كفر قاسم :

مذبحة كفر قاسم

اليوم .. انتهت اللمسات الأخيرة لأكبر مهرجان لسفك الدماء في كل تاريخ إسرائيل .. اليوم استعد كل جندي للارتواء بدم العرب حتى الثمالة .. اليوم سيرتوي كل العطشى في إسرائيل بالدم العربي .. فلا شيء يروي ظمأ الإسرائيلي غير الدم .. اليوم سوف يشهد المصريون والفلسطينيون تفريغ كل الأحقاد الإسرائيلية والمذابح ضدهم في كل التاريخ .. اليوم سوف تتوجه القوات الإسرائيلية العطشى لتحصد جنود مصر في سيناء بغطاء جوي فرنسي ..

كل قائد يجتمع بجنوده ليعطي لهم أوامر القتال .. وكانت الأوامر : اقتلوهم بلا رحمة ولا شفقة ..

* * *

قائد المنطقة الوسطى تسفي تسور[1] يعطي الأوامر لقادة الكتائب التي كلفت بحماية حدود إسرائيل مع الأردن ، ومن بين قادة الكتائب الكولونيل شدمي :

شدمي : هل يمكن فرض حظر التجول في المناطق العربية ؟

تسور : ممكن هذا .. بل وينفذ بشكل صارم جداً ، حتى يمكن تأمين الجبهة الجنوبية .

وبدأ الحديث عن مسئولية كل كتيبة لإحدى مناطق الحدود مع الأردن .

* * *

بدأ تعزيز قوات المنطقة الوسطى بأفواج من قوات حرس الحدود الإسرائيلية .. وعززت كل كتيبة بفوج من هذه القوات .. كتيبة الكولونيل شدمي عززت بفوج بقيادة الرائد ملنكي ، واجتمع الكولونيل بقادة الفصائل ، يعطي لهم أوامر الانتشار على طول الجبهة ، وحدد لكل فصيلة منطقة .. قال شدمي :

– الماجور ملنكي مسئول عن تأمين قرى كفر قاسم ، وكفر باره ، جلجوليا ، والطيرة ، والطيبة ، وقلنسوة ، وبير السكة ، وأبطن .

ملنكي : سيدي .. هذه مناطق يسكنها عرب .

شدمي : أعلم ذلك .

ملنكي : إنها في حاجة إلى إجراءات خاصة .

شدمي : يمكنك فرض حظر التجول في هذه القرى . على أن ينفذ بصرامة شديدة ، فأنا لا أريد العواطف[2].

ملنكي : ومن يخالف حظر التجول ؟

شدمي : عليه الرحمة .. فلأن يكون هناك عدد من القتلى خير من التورط في الاعتقالات .

---

(١) أصبح فيما بعد رئيس أركان القوات المسلحة الإسرائيلية .

(٢) الفصل ١٧ من الصفحة رقم ١٠١ من جلسات المحكمة المركزية .

وخرج ملنكي وقد دون في مفكرته الأوامر التي صدرت إليه من الكولونيل شدمي :

أولاً : فرض حظر التجول من الظلام حتى الصباح .

ثانياً : من يغادر منزله يطلق عليه الرصاص .

ثالثاً : لا اعتقالات .. بل قتلى .

خرج الماجور ملنكي سعيداً بأوامر القتل ، لا أوامر الاعتقالات ، خرج سعيداً ، فإن الليلة ستكون وليمة على الدماء العربية في تلك القرى .. اجتمع ملنكي مع ضباطه وجنوده وأخبرهم بأن الحرب قد بدأت ، وأن قوات جيش الدفاع الإسرائيلي قد اندفعت من المنطقة الجنوبية ، وسوف تفرض حظر التجول ، وكل من يخالف منع التجول يطلق عليه الرصاص حتى الموت ، فأنا لا أريد الاعتقالات .

ثم قال الماجور الإسرائيلي : بل لابد من قتلى هذه الليلة فإن هذا الأمر سوف يخفف من عبء الحفاظ على منع التجول في الليالي القادمة[1]..

وبدأت أسئلة الجنود والضباط إذا كان هناك مصابون أو جرحى عرب .

ملنـــكي : لا يجب أن يكون هناك جرحى .

الضابط مانشيش أريبه : ما العمل بصدد النساء والأطفال ؟

ملنـــكي : لا مجال للعواطف .. الحكم فيها كالحكم في الجميع ، فمنع التجول مفروض على الجميع ..

منشيش : وما العمل بصدد العائدين إلى مساكنهم بعد حظر التجول ، وهم لا يعلمون به .

ملنـــكي : الله يرحمهم .

* * *

ذهبت قوة إلى كفر قاسم بقيادة الضابط الإسرائيلي وهان ، وكانت القوة المسلحة بمدافع رشاشة من طراز برن ، وبالرشاشات والبنادق ، وفي القرية انقسموا إلى مجموعات ، كل مجموعة صغيرة لها قائد ، وكل قائد لديه أوامر القتل التي جاءت من الكولونيل شدمي إلى الماجور ملنكي إلى وهان .. إلى أصغر جندي ...

* * *

---

(١) النص من محاضر جلسات المحكمة المركزية الإسرائيلية – ص ١٠٢ .

الناس في القرية أصابتهم الدهشة لوجود هؤلاء الجنود المتحفزين ، واتجه دهان إلى بيت أحمد صرصور ، مختار القرية ، وكانت الساعة قد اقتربت من الرابعة والنصف من ظهر يوم ٢٩ أكتوبر عام ١٩٥٦ ، وقال دهان لمختار القرية :

– أخطر السكان بفرض حظر التجول من الخامسة مساء وحتى السادسة صباحاً ، ومن يخالف هذا سيعرض حياته للخطر .

صرصور : نصف ساعة غير كافية لأخطار الناس .

دهـــان : هذه أوامر .

صرصور : ولكن هناك ٤٠٠ من أبناء القرية موجودين في خارجها ، وقسم منهم في ضواحي القرية ، أو في الكيبوتز يعملون ، وقسم آخر في أماكن بعيدة ، في بتاح تكفا واللد ويافا ، وهؤلاء لا يعلمون شيئاً عن حظر التجول .

وسأل صرصور : ما هو مصيرهم ؟

بعد مناقشات .. وعد دهان بأنه سينقلهم إلى بيوتهم حتى لو جاءوا بعد حظر التجول .

* * *

أسرع المختار أحمد صرصور إلى سكان القرية ، وأبلغهم بحظر التجول وبخطورة مخالفة هذا الخطر ، ووضعت الأمهات أيديهن على قلوبهن خوفاً على أبنائهن الذين يعملون خارج القرية ولم يعودوا ، وعاش كل سكان القرية في حالة شديدة من القلق على الأبناء والآباء والأخوة الذين يعملون في المستعمرات الإسرائيلية خارج القرية .. وماذا سيكون مصيرهم ؟

* * *

في نفس الوقت كانت القوة الإسرائيلية تسن أسنانها لتنهش بها أول ضحايا هذه الليلة السوداء ، ليلة حفل الدم الإسرائيلي ، ليلة تنفيس الكبت الدموي عبر السنين .

* * *

في هذا الوقت أنهى أربعة عمال من سكان القرية أعمالهم في مستعمرتي بتاح تكفا ورأس العين ، هما أحمد محمد فريج ، وشقيقه الأصغر محمود محمد فريج وعلى عثمان طه وعبد الله سمير بدير ، وركبوا دراجتهم البخارية في طريقهم إلى قرية كفر قاسم ، ووصلوا

إلى المدخل الغربي من القرية ، وفجأة أطلق عليهم الرصاص من كل جانب ، فمات أحمد فريج ، وسقطت دراجته البخارية على شقيقه فحمته من وابل الرصاص الذي أطلق عليهم ، وسقط قتيلاً أيضاً على عثمان طه ، فتظاهر عبد الله بدير بأنه مات ، وظل في مكانه لا يتحرك رغم وابل الرصاص ، وعندما توقف إطلاق الرصاص لحظة ، بدأ محمود يزحف على الأرض بعيداً عن الطريق ، فأطلقوا عليه الرصاص مرة أخرى ، فتظاهر بالموت ، وسقط في مكانه .

وبعد فترة من الزمن تقدر بأكثر من ساعة ، انشغل الجنود الإسرائيليون بمذبحة أخرى ، فوقف محمود إلى قطيع من الماعز ، وعندما دخل إلى القطيع وجد صاحبه مقتولاً ، وبدأ القطيع يتحرك داخل القرية ، وهو يسير على يديه ورجليه داخل القطيع داخل القرية ، وذهب إلى أسرته يخبرهم بوفاة شقيقه أحمد . وذهب عبد الله بدير – زحفاً – إلى جذع شجرة زيتون قريبة ، جلس يصرخ بلا صوت ، ويبكي بلا دموع على رفاق العمل والمأساة والقرية . وفي الصباح وبعد انتهاء حظر التجول دخل كالمجنون إلى القرية ، يصف لسكانها الانتصار الإسرائيلي في مجزرة الأمس ..

* * *

بعد هذه المجزرة بدقائق .. شاهد الجنود الإسرائيليون بقيادة دهان ، عربة ذات عجلتين يجرها بغل ، وعليها إسماعيل محمود بدير ، وابنته وعمرها ٨ سنوات ، ويسير بجوار العربة غازي محمود درويش عيسى (٢٠ سنة) ومحمد عبد الرحمن عاصي وطفل اسمه محمد عبد الرحيم عيسى .

* * *

يا للشجاعة .. صيد جديد قد وصل .
وأمر دهان رجاله بإحاطة العربة التي يجرها بغل .
وأحاطوا بالعربة .
وأمر الضابط الإسرائيلي راكب العربة أن ينزل ويترك ابنته .
ونزل الرجل وهو في دهشة .
وأمر الطفل أن يركب العربة ..
وركب الطفل ..

ويالإنسانية .. أمر الطفل أن يقود العربة ومعه الطفلة إلى داخل القرية .. وضرب البغل بكعب مدفعه فانطلقت العربة إلى القرية ، والطفلة تصرخ صراخاً عنيفاً وكأنها تعلم ما سوف يحدث لأبيها ..

ويالرجولة .. طلب من الرجال الثلاثة الوقوف صفاً واحداً .. ووقفوا .. ثم أصدر الأوامر بإطلاق الرصاص .. واشترك معهم .. وسقط الثلاثة .. واستمر إطلاق الرصاص بعد أن سقطوا ..

لم يكن يعلم الضابط الإسرائيلي أن أحدهم لم يمت .. هو إسماعيل محمود بدير .. لقد اخترقت عشرات الرصاصات جسده .. ولكنها لم تأت في مقتل .. بل إن الرصاص لأنه من مسافة قريبة اخترق جسده ولم يستقر فيه .. وظل إسماعيل بدير (والد الطفلة) حياً ميتاً .. حتى الصباح .. وأمكن لسكان القرية إنقاذه عندما وجدوا الروح لم تفارق جسده ..

* * *

حفل الدم لم ينته بعد ..

فإن دماء العالم لن تشبع عطشهم ..

قطيع من الأغنام في طريقه إلى القرية .. يرعاه رجل إسمه عثمان عيد عبد الله عيسى (٣٠ سنة) وابنه الصغير فتحي (١٢ سنة) ، لا علاقة لهما بما يحدث حولهما ، كل همهما هو رعاية الأغنام ، الأب يغني مواويل حزينة ، هكذا علمته الحياة ، والابن يعيد النغمة الشاردة لتنضم إلى القطيع واقترب الثلاثة من القرية ، القطيع ، والأب ، والابن ..

ويبدو أن الجنود الإسرائيليين ، قد أرهقهم توقيف الناس ، وسؤالهم فأطلقوا الرصاص على راعي الغنم وابنه ، فسقط الاثنان قتيلين ومعهما بعض الأغنام ..

* * *

حفلات الدم مستمرة ..

وكفر قاسم هي المصيدة .. والعائدون إليها هم صيد حفلة الدم الكبرى في إسرائيل ..

اقتربت من المصيدة سيارة نقل صغيرة ، بداخلها صيد ثمين هذه المرة بها سائق وبجواره آخر ، وطفل ، وفي صندوق السيارة جلس ثلاثة أفراد ، أي أن الصيد هذه المرة ستة أفراد ..

وعندما اقتربوا من قرية كفر قاسم ، شاهد الرجل الذي يجلس بجوار السائق جندياً إسرائيلياً يقتل مواطناً عربياً بالنار ، فطلب من السائق أن يقف فوقف ، وسرعان ما جاء لهم جندي إسرائيلي ، وطلب منهم عدم التوقف ..

وأدار السائق السيارة مرة أخرى ، وبدأ ينطلق في الطريق إلى القرية وإذا بالجنود الإسرائيليين يطلقون الرصاص على السيارة من كل جانب ، والسائق يسرع ، فربما كتبت له النجاة ، حتى استطاع أن يصل إلى منزل خلف مدرسة القرية وعندما توقف وجد قتيلاً واحداً ..

كان ركاب السيارة عمر محمود عودة (٥٧سنة) تاجر ومزارع ، وابنه وعاملان زراعيان يعملان في مستعمرة بتاح تكفا ، وشريكه الذي قتل هو شريك عودة واسمه محمود عبد الجاسر ريان .

ولكن .. يبدو أن الجنود الإسرائيليين ، كانوا يريدون القتل بالإثارة – أي أن ينفجر بنزين السيارة ، فيحدث ناراً ولهيباً وانفجاراً وأشلاء القتلى ، وعندما استطاع سائق السيارة أن يهرب دون حدوث هذا المشهد السينمائي المثير ، قرروا عدم العودة إلى ذلك ..

حفلة الدم مستمرة ..

لاحت من بعيد عربة ذات أربع عجلات يجرها بغل ، وعليها صاحبها واسمه إسماعيل عقاب بدير ، وتوقفت العربة ليركب بها ابن عمه توفيق إبراهيم بدير بدلاً من أن يسير على قدميه ، وهما يعملان في المستعمرة الإسرائيلية بتاح تكفا ، وعند مدخل القرية توجه أحد الجنود الإسرائيليين وأوقف العربة ، إلا أنه وجد أن الصيد ليس ثميناً هذه المرة ، فتركهما في الطريق بعد أن أمرهما بعدم التحرك ..

ثم لاحت من بعيد أضواء دراجات بخارية تبدو كثيرة ، وما أن وصلت هذه الدراجات حتى أحاطها جنود إسرائيل ، وطلبوا من ركابها وضع الدراجات عند العربة والوقوف صفاً واحداً ، وطلبوا من راكبي العربة النزول والوقوف صفاً واحداً مع ركاب الدراجات النارية ..

آه .. هذا صيد ثمين .. طابور به ثلاثة عشر فلسطينياً ..

وسأل الجندي الإسرائيلي : إلى أين ؟

قالوا : نحن من كفر قاسم .. وكنا نعمل في المستعمرات الإسرائيلية ، ونحن في الطريق إلى ديارنا .

وفجأة .. صاح قائد المجموعة الإسرائيلية : احصدوهم .

وبدأ إطلاق النار من المدافع الرشاشة التي يحملها الجنود الإسرائيليون وسقطوا جميعاً على الأرض ، ورغم ذلك استمروا في إطلاق الرصاص عليهم حتى تأكدوا أنهم جميعاً قد ماتوا ..

لقد سقطوا متفرقين في وسط الطريق ، وهذا قد يعوق مراسم عرس الدم في كفر قاسم ، فحملوهم من وسط الطريق ، وألقوا بهم فوق بعضهم على جانب الطريق على شكل هرم من جثث الفلسطينيين .

أثناء حفل الدم هذا .. استطاع أحدهم أن يهرب ولم تلحقه رصاصات يهود إسرائيل ، واسمه مصطفى .

ولم يكن هذا الهرم الآدمي كله من الجثث ، بل كان بعضهم من أصيب إصابات بالغة ولكنه لم يمت ..

مثلاً .. إسماعيل (٢٠ سنة) أصيب بجراح في رجله اليمنى ، وبعد أن غادر الجنود المكان ، خرج من تحت الجثث ، وزحف إلى أقرب شجرة ، واستطاع أن يتسلقها ، وظل فوق الشجرة يومين كاملين ، ثم شاهده أهل القرية — بعد ذلك — وأخذوه إلى المستشفى ، وقد قرر الأطباء بتر رجله خوفاً من إصابته بالغرغرينا .. ولقد حضر المحاكمة لمأساة كفر قاسم كشاهد ..

● صلاح (١٩ سنة) .. ظل ينزف تحت الجثث حتى الصباح ، وأنقذه أهل القرية ..

● توفيق (٢٥ سنة) .. استطاع أن يخرج جريحاً من تحت الجثث ويظل تحت شجرة حتى جاء أهل القرية ونقلوه إلى المستشفى ..

● أسعد عيسى (٢٦ سنة) أصيب في فخذه الأيمن ، وظل حياً ، فأطلقوا عليه النيران مرة أخرى فأصيب في فخذه الأيسر فتظاهر بالموت .. ونقلوه مع الجثث .. واستطاع أن ينجو ..

كانت حصيلة هذا الفصل من المجزرة ستة قتلى هم :

محمود عبد الرازق صرصور (١٨ سنة) ، علي نمر فريج (١٧ سنة) صلاح محمد أحمد عامر ، سليم أحمد بشير بدير (٥٠ سنة) ، عبد الله عبد الجاسر بدير (٢٥ سنة) ، عيد سليم صلاح عيسى (٢٠ سنة) ..

* * *

كل هذه الدماء لم تكف لارتواء جنود إسرائيل .
والأوامر الصادرة بضرورة استمرار الحفل .

* * *

عندما أعلن مختار القرية فرض حظر التجول على كفر قاسم ، خشيت سيدة فلسطينية على زوجها الذي يعمل في إحدى المستعمرات القريبة ، فأرسلت له ابنها الصغير يخطره بأن حظر التجول قد فرض في القرية ، وعليه أن يعود فوراً ، وجرى الابن مسرعاً إلى أبيه وأخطره برسالة أمه إليه ، فصاح الرجل في العمال الذين يعملون أن يتركوا العمل ويعودوا إلى كفر قاسم ، حيث حظر التجول ، وهرول العمال ، وركبوا السيارة – سيارة نقل صغيرة – وبلغ عددهم تسعة عشر رجلاً والطفل الذي جاء جرياً من القرية ، وعلى أبواب كفر قاسم أوقف الجنود الإسرائيليون ، السيارة وطلبوا من ركابها النزول ، فنزلوا ووقفوا صفاً واحداً أمام فوهات مدافع جنود إسرائيل . لم يبق في صندوق العربة غير الطفل الصغير الذي ذهب إلى والده برسالة والدته .

عندما شاهد الطفل هذا الحشد ، طلب من والده أن ينزله من الصندوق ، واستسمح الوالد الجندي الإسرائيلي فوافق ، وأنزل الوالد طفله ، وطلب منه أن يعود إلى البيت ، إلا أن الطفل أصر أن يقف في الطابور أمام فوهات مدافع جنود إسرائيل – أي والله ، هذا ماحدث – وهذا ما قاله الشهود أمام المحكمة المركزية وهذا ماجاء في الفصل ١٧ بالصفحة ١١٥ من محاضر هذه المحاكمة المثيرة .

وقف الفلسطينيون أمام فوهات مدافع جنود إسرائيل ، ثم سادت فترة صمت فتقدم أحد الفلسطينيين إلى الجندي يسأله عن سبب احتجازه ، في هذه اللحظة ، صرخ القائد الإسرائيلي : احصدوهم .

وانطلقت النيران من كل المدافع ، وسقطوا قتلى ، أو أن الأحياء تظاهروا بأنهم من القتلى .. وكان حصاد هذا المشهد من المأساة عشرة قتلى هم :

عطا يعقوب صرصور (٢٢ سنة) ، رياض رجا حمدان داوود (٨ سنوات) ، جمال سليم محمد طه (١١ سنة) ، جمعة محمد عيد صرصور (٢٠ سنة) ، مرسي دياب عيد مزرع وعبد السليم محمد فريج (١٤ سنة) ، صلاح مصطفى أحمد عيسى (١٧ سنة) ، عبد الرحيم محمد بدير (٢٥ سنة) ، أحمد محمد جوده عامر (١٧ سنة) ، جمعة توفيق أحمد جبريل .

لقد مات الطفل رياض رجا حمدان داوود ، ونجا والده ، الذي بكاه سنوات طويلة .

وكان هناك طفل آخر اسمه جمال (١١ سنة) لقى حتفه ..

وكان هناك غلام اسمه عيسى (١٣ سنة) لم يصب ، ولكنه أصيب بفقد الذاكرة من هول ما شاهده .

* * *

بين هذا المشهد المثير .. والمشهد الذي يليه .. كانت هناك استراحة .. لقد جاءت شاحنة بها اثنان فقط ، وهما محمود خضر جابر صرصور (٢٧ سنة) ويوسف محمد إسماعيل صرصور .

وكانت السيارة محملة بالصوب ، لذلك لم يكن هناك من يركبها غير السائق وقريبة ، اقتربت السيارة من القرية ، وعلى جانبي الطريق أكوام من جثث المشاهد السابقة ، وطلب الجندي الإسرائيلي منهما النزول ، فنزلا ، وسألهما من أي قرية .. قالوا : من كفر قاسم .

وهنا أصدر قائد المجزرة الإسرائيلية أمره بإطلاق الرصاص على الرجلين ، وسقط الإثنان قتيلين ..

في كتابة التراجيديا ، يكون المشهد الأخير ، هو أعنف المشاهد وأقواها ، فكان هذا المشهد الأخير من مأساة كفر قاسم ..

بعد الأحداث السابقة ، وصلت إلى مشارف القرية سيارة نقل عليها ٤ رجال و ١٤ امرأة ، وطلب أحد الجنود من السيارة أن تتوقف ، إلا أن السائق سار في الطريق إلى القرية ، خوفاً من اعتداء الجندي على إحدى السيدات ، هكذا تصور ..

ولكن الجندي صرخ وطلب من السائق أن يقف .

وظهر أمام السائق عدد آخر من الجنود .. فتوقف .

وأحيطت السيارة بعدد من الجنود ، وطلب قائدهم من السائق أن ينزل ويأمر الركاب بالنزول بما في ذلك الأطفال والنساء .. ونزل السائق ووضع سلماً خلف السيارة لينزل الأطفال والنساء ، وقال لهم :

– يا اخوتي .. لا تخشين شيئاً .. كل واحدة منكن .. تخرج بطاقتها (الهوية) ، ونزلت النساء ، وطلب جنود إسرائيل من الجميع أن يقفوا رجالاً وأطفالاً ونساء صفاً واحداً .. وبكت النساء وصرخ الأطفال ، وطلبوا من هؤلاء الجنود الرحمة ، فلقد شاهدوا الجثث ملقاة أكواماً على جانبي الطريق ..

وأوقف صوت الرصاص بكاء الأطفال وصراخ النساء وتوسلات الرجال وظلوا يطلقون الرصاص حتى سقطوا جميعاً على الأرض ، وحملوهم ليشكلوا أكبر هرم من الجثث ، لقد مات سبعة عشر فلسطينياً بين امرأة ورجل وطفل ، ونجت فتاة فلسطينية واحدة هي حنا سليم عامر (١٦ سنة) ، التي روت للمحكمة هذه القصة ومات : محمود محمد صارودة (١٥ سنة) ، محمد دياب عيد صرصور ، محمد سليم خضر صرصور (١٥ سنة) ، عبد الله محمد عيد صرصور ، صفا محمد عسس صرصور (٤٥ سنة) وفاطمة صالح أحمد صرصور (١٤ سنة) وآمنة قاسم سعيد طه (٥٠ سنة) وخميسة فرج محمد عامر (٥٠ سنة) ، زغلولة أحمد بشير عيسى (٤٥ سنة) ، حلوى محمد عودة بدير (٦٠ سنة) ، فاطمة داوود محمد صرصور (٣٠ سنة) ورشيقة فايق إبراهيم بدير (١٢ سنة) ، زينب عبد الرحمن طه (٤٥ سنة) ، فاطمة محمد سليمان بدير (٤٠ سنة) فاطمة محمد عيسى (١٧ سنة) ، لطيفة داوود محمد عيسى (١٢ سنة) ، زهدية محمد إسماعيل طه (١٤ سنة) ..

* * *

أثناء وقوع أشنع جريمة في التاريخ ، لم تأخذ من اهتمام الإعلام العربي ، بل ولا العالمي الشيء الكثير ، فلقد جاءت عشية العدوان الثلاثي على مصر في ٢٩ أكتوبر عام ١٩٥٦ ، وكان العالم كله مشغول بهذه الحرب ، وبعد أن انتهت الحرب بدأت أخبار المأساة تصل إلى الإعلام العربي ، إلا أن الصورة لم تكن واضحة ، ثم تسربت إلى بعض من الصحف الإسرائيلية ، وطلب أعضاء الكنيست محاكمة هؤلاء ، وفعلاً تم تقديم هؤلاء القتلة إلى المحاكمة ، وانقسم الإعلام الإسرائيلي بين من يعتبر هؤلاء أبطالاً تاريخيين ، قتلوا من لا قيمة لهم ، وبين من اعتبر هذا عاراً على إسرائيل ..

وفعلاً .. تم تقديمهم إلى المحاكمة ، وجاءوا بالشهود الذين كتب الله لهم الحياة .

وبعد عامين .. أصدرت المحكمة العسكرية المركزية حكمها في مأساة كفر قاسم بتاريخ ١٠ أكتوبر عام ١٩٥٨ هذه الأحكام :

- الماجور شمرئيل ملنكي : اشترك مع جبرئيل دهان بقتل ٤٣ مواطناً (من عرب إسرائيل) ، بالسجن ١٧ سنة .
- جبرئيل دهان اشترك مع ملنكي بقتل ٤٣ وحكمت عليه المحكمة بالسجن ١٥ عاماً ..
- شالوم عوفير السجن ١٥ عاماً .
- خلوف مريس بالسجن ٨ سنوات .
- إبراهام الياهور بالسجن ٨ سنوات .
- جبرئيل عولئيل بالسجن ٨ سنوات .
- البرت ميخا السجن ٨ سنوات .
- ادموزر نخماني ٨ سنوات .
- عبد الرحمن إسماعيل (جندي) براءة .
- سعيد زكريا شعبان (جندي) براءة .
- سميتش دانيال (جندي) براءة .

كما حكمت المحكمة بتجريد من ادينوا في هذه المذبحة من الرتب العسكرية .

بعد صدور هذا الحكم ، خشي العرب في الأرض المحتلة أن تتكرر المأساة مرة أخرى ، بعد هذا الحكم الخفيف المحتمل ، وفي نفس الوقت قامت الأحزاب الإسرائيلية خاصة اليمينية ، بحملة ضارية ضد حكم المحكمة العسكرية ، بقيادة الصحيفتين (حيروت) و (يديعوت أحرونوت) ، وطالبت بالعفو عن هؤلاء ..

تم استئناف الحكم ، وزاد سخط الجماهير العربية في الأرض المحتلة ، وصراخ الإسرائيليين بضرورة الإفراج عن القتلة ، وصدر حكم الاستئناف بالتخفيف :

- ملينكي السجن ١٤ سنة .
- دهان ١٠ سنوات .
- عوفر ٩ سنوات .

وباقي الأحكام كما هي .

إلا أن مناقصة تخفيض الأحكام ظلت مستمرة ، فقرر رئيس أركان جيش الدفاع الإسرائيلي بتخفيض العقوبة إلى :

- ميلنكي ١٠ سنوات .
- دهان ٨ سنوات .

والباقي ٤ سنوات لكل منهم .

المناقصة مستمرة ، ومن حق رئيس الدولة أن يدخلها هو الآخر ، بل أن هذا حقه الدستوري ، فقرر تخفيض عقوبة ميلنكي ودهان إلى خمس سنوات .

المناقصة مستمرة .. بل ان في إسرائيل لجنة اسمها لجنة العفو أمرت بإنقاص العقوبة بعد تخفيض رئيس الدولة إلى ثلثها ..

كان قد انقضى ثلاث سنوات على مجزرة كفر قاسم .. فخرج القتلة ، وهم الآن من كبار المسئولين في دولة إسرائيل ..

* * *

كفر قاسم وحدها لم تعش الإرهاب كله ، بل عاشته أيضاً عشرات القرى التي سمعت بأحقر مجزرة في التاريخ ..

إن مجزرة كفر قاسم .. واحدة من الصور المتعددة للإرهاب الإسرائيلي ..

* * *